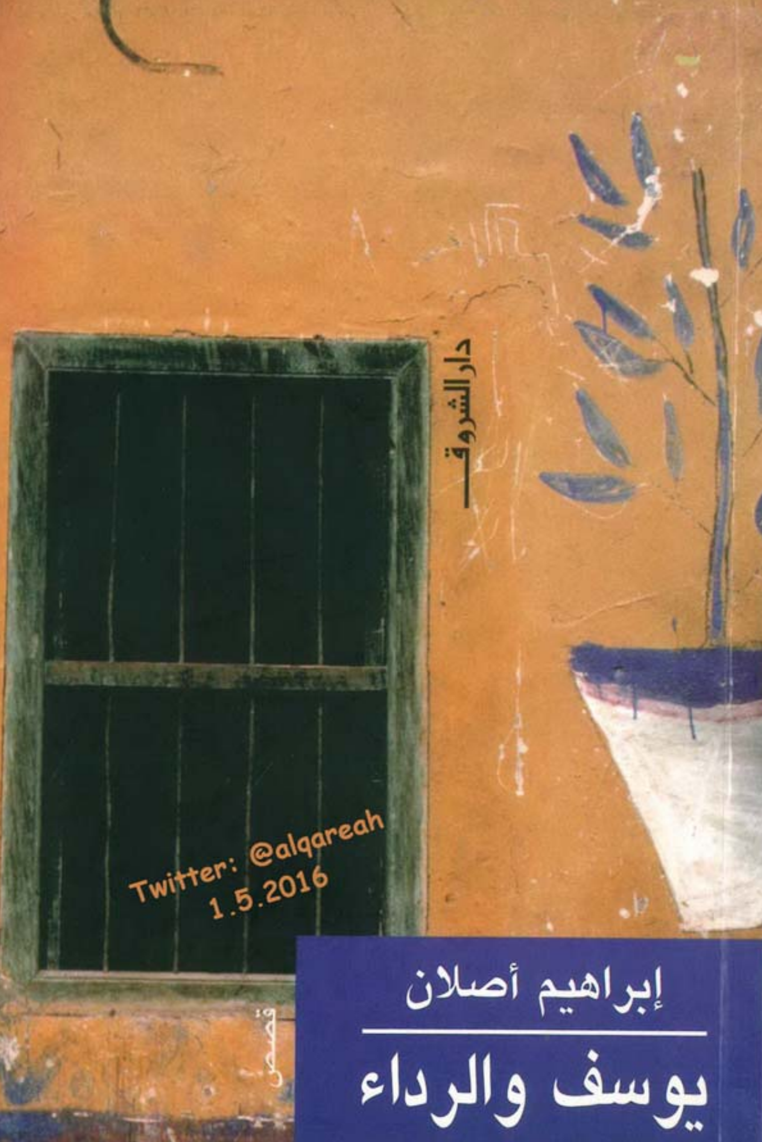

دار الشروق
Twitter: @alqareah
1.5.2016
قصص
إبراهيم أصلان
يوسف والرداء

يوسف والرداء

إبراهيم أصلان

دار الشروق

يوسف والرداء

طبعة الشروق الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية - مدينة نصر - ص . ب : ٣٣ البانوراما
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

ولد وبنت

«لقد حدثتها عنك» .

ورفعت أصابعها الدقيقة وهما يسيران :

«إنها الثالثة التى تعرف حكايتنا الآن ، بعد سنة وثلاثة شهور» .

والتفتت إليه بوجهها الباسم حتى تراه جيدا .

قال وهو يضع ذراعه على كتفها ويقربها إليه :

«أصبحنا مشهورين» .

«جدا» .

وضحكا .

كان الوقت غروبا ، وكانا يسيران تحت الأشجار

على طول الطريق الخالى ، نحيلان ولكنه أطول منها قليلا .

«ماما قالت لى : إنهم سيتركون لنا الشقة إذا وافق أبى على زواجنا . إيجارها رخيص جدا . إنها تحبك الآن ، وعندما أخبرتها أنك لم تعد تدخن لأنى طلبت منك ذلك ، أحبتك أكثر» .

«وأختك ، ما زالت غاضبة منى؟»

«إنها ليست غاضبة منك أنت ، ولكن منى أنا . عندما عرفت أنك زميلى فى العمل قالت إننى غاوية فقر» .

«والله معها حق» .

«إنها لا تشبهنى ، ولكنى أحبها جدا . وعندما تراها ستحبها أنت الآخر . إنها تضحك علىَّ وعلى ماما وعلى بابا وعلى كل شىء . ونحن نحبها لأنها صغيرة ودمها خفيف» .

«وحلوة؟»

«جدا» .

«مثلك؟»

«مثلى أنا؟»

والتفتت إليه مرة أخرى وهما ما زالا يتقدمان .

مالت رأسها قليلا . كاد كتفها يلامس صدره :

«هى طولى تقريبا . ممتلئة عنى . شعرها لون شعرى، ولكن عينيها لونهما مختلف عن عينى . جَميلتان جدا» .

«لونهما أسود؟»

«عيناها هى؟»

«آه؟»

«لا» .

وأضيئت مصابيح الطريق .

وقالت الفتاة :

«ما هو لون عينى؟»

«عيناك أنت؟»

هزت رأسها. قال:

«لونهما أخضر».

«إننى لا أضحك».

مال عليها أكثر.

«دعينى أرى».

«لا. دون أن ترى».

«ألا تعرف لون عينى؟»

أنزل يده عن كتفها، وانحرفا إلى طريق جانبى، وضاقت خطواتهما قليلا.

«دعينى أرى وسأقول لك»

قالت الفتاة بصوت خافت وهى تشيح بوجهها إلى بعيد:

«لا . أنت لا تعرف» .

وتوقفت بجوار أحد الأعمدة الحديدية، وتوقف هو أيضا . وقالت الفتاة مرة أخرى :

«أنت لا تعرف» .

واستدارت إليه، ورأى كلٌّ منهما الآخر فى ضوء المصباح الكهربائى، ونقلت حقيبتها إلى يدها الأخرى، وضحكا .



الضوء فى الخارج

ـ ١ ـ

قالت :

«تسمح ؟»

قلت :

«أفندم ؟»

قالت :

«ما هى العربة التى تصل إلى ميدان الأزهار ؟»

«عربة رقم ٤٠١» .

قالت :

«شكرا» .

وابتعدت عنى خطوات .

قلت :

«عفوا»

وعدت أستند إلى العمود الحديدى .

ومـرت فـتـرة من الوقت ، ثـم التـقـت نظراتنا . كانت عيناها كبيرتين ، وكانت تبتسم . قالت :

«حضرتك متأكد أن الرقم هو ٤٠١ ؟»

تقدمتُ خطوة إلى الأمام وأخرجتُ منديلى من جيبى . استدرتُ وتطلعتُ إلى الأرقام الواضحة على اللوحة الصدئة . بين الأرقام لم أجد هذا الرقم .

قلت :

«أعتقد أنه ١٠١» .

كبرت ابتسامتها . قالت :

«أنا أيضا قلت إنه لا يمكن أن يكون هناك رقم ٤٠١».

ونظرت إلى ساعة يدها. وعدتُ أستند إلى العمود الحديدى.

كان طريقا جانبيا، وبدت المنطقة خالية من البيوت وممتلئة بالمعاهد العليا والهيئات الحكومية. وسمعت صوت عربة آتية، ورأيت شعرها ملموما على رأسها من الخلف وهى تستدير وتتطلع تجاهها. وعندما حاذتنا العربة التى كانت ممتلئة حتى آخرها هدّأت قليلا ثم استعادت سرعتها. والتقت نظراتنا مرة أخرى. وهنا لاحظت قرشا أبيض فوق الأسفلت على بعد خطوة واحدة من قدمى، وأردت أن أنحنى وألتقطه، والتفتُّ إلى الفتاة ورأيتها ما زالت تبتسم، وتقترب منى وتقول:

«يبدو أن الوصول سيكون صعبا».

قلت:

«الحقيقة أن الطرق الجانبية لا تؤدى إلى شىء» .

قالت :

«الحقيقة أن الطرق الجانبية لا تؤدى إلى شىء» .

«ألا توجد وسيلة أخرى للوصول إلى ميدان الأزهار؟»

«يمكنك أن تتجهى إلى الطريق العام . هناك أكثر من مواصلة ، ولكن ذلك سيأخذ وقتا أطول» .

«هل هو بعيد جدا؟»

«لا أعتقد . وعلى أى حال أنا نفسى أفضل الذهاب إلى هناك . يمكننا أن نذهب معا إذا لم يكن عندك مانع» .

قالت :

«أبدا . إن ذلك يسعدنى جدا» .

وهبطتْ من على الرصيف وهى ما زالت

- ٢ -

عندما دخلنا إلى كازينو النهر كنا قد تحدثنا كثيرا . وقد لاحظت من ناحيتى أنها صغيرة السن وأن صوتها عندما تتحدث يبدو كما لو لم يكن صادرا منها . كان دافئا وبعيدا وكأن له حياته الخاصة المستقلة . وشربنا حليبا ساخنا ، والتفتُّ إليها وهى تجلس بجوارى ، وتطلعتُ فى عينيها الكبيرتين ، وشعرت أننى أريد أن أكون مرحا إلى حد ما .

«هل تعتقد أن أخى سيغضب لأننى لم أذهب إليه؟»

«أى أخ؟»

«إننى كنت ذاهبة إلى أخى فى الشركة . لقد أخبرتك» .

«ولكنه لن يغضب بطبيعة الحال» .

«سأحاول العودة إلى البيت قبل أن يعود هو» .

قلت :

«فعلا» .

وانقطع التيار الكهربائى وغرق كل شىء فى الظلام ، واتضحت الأضواء التى كانت تتكسر فى الجانب الآخر من النهر . وضعت يدى على يدها فوق المنضدة المعدنية الباردة ورحت أربت عليها لفترة من الوقت ثم أنزلتها . وضحكتْ هى وضحكتُ أنا أيضا ، ومدت أصابعها وبدأت تداعبنى .

وعندما انتهينا وانصرفنا لم يكن النور قد عاد إلى المنطقة بعد . وقلت لها ونحن فى الظلام :

«لا تنسى الموعد» .

وقالت هى :

«حاضر» .

«الساعة السادسة على باب السينما» .

«حاضر» .

«أخبريهم فى البيت أنك ستتأخرين . ربما ذهبنا إلى مكان آخر بعد خروجنا من السينما» .

رفعت حاجبيها الرقيقين دون أن يختفى التطلع الباسم من عينيها .

«ربما ذهبنا لزيارة صديق» .

«طيب» .

«اتفقنا؟»

«اتفقنا» .

«سأنتظرك» .

«سأحضر» .

- ٣ -

كنت أشعر بالاطمئنان وأنا جالس بجوارها فى الظلام . لقد مضى وقت طويل قبل أن أجد الرغبة فى ترتيب شىء ما . ذهبت إلى صديقى وطلبت منه أن ينتظر بالشقة ولا يغادرها . وكانت أحداث الفيلم تدور فى إيطاليا أيام الحرب الأخيرة ، وعندما فردت ذراعى وضممتها إلى ، وضعت رأسها على صدرى . ورفعت يدها إلى فمى وقبّلتها وأنزلتها وشعرت بأصابعها ثم بدأت تداعبنى . وفى تلك اللحظة كانت الأرملة الشابة تجرى فى طريقها إلى المقابر لتحذير الرجال من دورية مسلحة كانت قادمة فى الطريق . وأخذها الرجل النحيل واختبأ معها وراء جدار متهدم . وارتفع دبيب الأقدام والفتاة إلى جوارى تداعبنى وأنا أرتجف ، ثم خفتت الأصوات مرة أخرى وظلت تبتعد إلى أن تلاشت ، وكانت الفتاة قد كفت عن مداعبتى وتركت رأسها مستريحا

على كتفى. وقلت لها بعد أن عدلت ثيابى فوق جسدى:

«ما رأيك لو انصرفنا الآن؟»

قالت:

«كما تريد».

وقامت واقفة.

وخرجنا إلى الطريق العام حيث كان الضوء واضحا وقويا، والطوار مزدحم بالنساء والرجال.

وقلت لها:

«المكان قريب ويمكننا أن نسير إلى هناك».

قالت:

«أى مكان؟»

«الشقة».

«شقة؟»

«أقصد المكان الذى اتفقنا على الذهاب إليه» .

«ولكننا لم نتفق على شىء» .

«لم نتفق على شىء؟»

التفتت إلىَّ وقد اتسعت ابتسامتها . قلت :

«ولكن ، لقد اتفقنا فى المرة السابقة أن نذهب لزيارة صديق» .

«اتفقنا فى المرة السابقة أن نذهب لزيارة صديق» .

«اتفقتَ معى أنا؟» .

هززت رأسى موافقا . قالت :

«لماذا؟»

قلت :

«أبدا . لقد عرضتُ عليك ووافقتِ أنت» .

«لا» .

«لماذا إذن كنت سأذهب معك لزيارته؟» .

«ولكنك فى المرة السابقة وافقت» .

«أنت لم تكلمنى أبدا فى مثل هذا» .

لم أتكلم .

رحت أسير بجوارها . وكان الضوء واضحا وقويا . وعبرنا الطريق واتجهنا إلى المحطة وصعدنا الطوار . واستدارت إلىّ وكانت ما تزال تبتسم . قلت :

«فى الحقيقة مسألة الصديق لا تهمنى أبدا» .

هزت رأسها . قلت :

«أقصد أنا لا يهمنى أبدا أن نذهب أو لا نذهب . لكن يهمنى جدا أن تتذكرى . حاولى أن تتذكرى» .

«غريبة» .

«أنت متأكدة؟»

«من المستحيل أن تكون كلمتنى فى شىء مثل هذا، وإلا كنت رفضت على الأقل».

وتطلعت فى عينيها الكبيرتين. ولاح لى لونهما مغايرا من أثر الضوء الذى كان يفضح المكان.

قلت:

«وأين سنذهب الآن؟»

«سأعود إلى البيت. أنا متعبة».

«ومتى سأراك؟»

«عندما تحضر لزيارتنا، كالعادة».

«طيب».

«ألن توصلنى؟»

وقبل أن أتمكن من الرد تركتنى وانصرفت. وظللت واقفا فى مكانى لفترة من الوقت. وفكرت أن أذهب إلى صديقى وأتحدث معه، وخيل إلىَّ أن ذلك لن يكون ملائما، وهبطت من على الطوار.

أكتوبر ـ ١٩٦٦م

بندول من نحاس

«كنت أريد أن أقول لك الكثير» .

وقبضت بأسنانها على أصبعها وراحت تحدق فى صمت .

كانت قاعة عارية الجدران . . وكان هو يجلس على أحد المقاعد ، وقد أراح ذراعه الوحيدة على المسند الخشبى ، يتطلع إلى الفتاة التى جلست هناك فى الركن البعيد ، تحت الساعة الخشبية التى بدا بندولها النحاسى الثابت واضحا خلف الزجاج المنطفئ . وكان الضوء خابيا .

«فى كل مرة كنت أريد أن أقول لك الكثير ، ولكنى فى النهاية لا أقول لك إلا الكلام الذى لم أود أن أقوله أبدا» .

اتكأ بيده على المسند الخشبى، وعبر القاعة على مهل، ووقف أمامها. ازداد ميل رأسها إلى الأمام فاختبأ وجهها المبتل تحت شعرها الطويل الداكن. كان كُمُّ بيجامته الخالى مطويا فى جيبه الأيسر. مد يده الوحيدة وتحسس ذقنها برفق. قامت واقفة والتصقت به ودفنت وجهها فى صدره، وقالت له:

«اعذرنى. هل تعذرنى؟»

وتراجعتْ إلى الوراء وفكت أزرار الثوب وعرت روحها وأرته الجراح وخيوط الدم التى تجمعت تحت الجلد. أعادها إلى الأريكة، وجلس على الثوب الملقى تحت قدميها. مد أصابعه الطويلة النحيلة إلى لحمها العارى، فارتعشت وهمست له:

«أرأيت؟»

«إننى أرى. . إننى أرى تماما، وهذا هو الشىء الوحيد الذى يؤلمنى».

وقام واقفا وابتعد عنها قليلا. انحنت هى

وتناولت ثوبها . ارتدته وانطوت على نفسها تحت الساعة الخشبية . جلس على أحد المقاعد القريبة ونظر إلى البندول النحاسى الثابت .

«أنا الآن لا أحاول الدفاع عن نفسى»، وحرك يده حركة خفيفة : «ربما كنت تدركين هذا الشيء أكثر من إدراكى له، ولكنى أقول لك هذا الكلام خوفا من أن يكون إدراكك له أقل من إدراكى»، والتفت إليها : «الذى حدثتك عنه فى لقائنا الأخير» .

مسحت أسفل عينيها بظهر يدها .

وقام هو واقفا :

«صحيح أننى لم أعد أعرف عن قيمته شيئا، وأنا أنسى، ولكننى عندما أتذكر أفقد الرغبة فى الكلام، ولا أجد القدرة على التوقف عن التفكير» .

ومد يده إلى ناحيتها :

«ولكن، ربما لم يكن ذلك صحيحا . . ربما لم يكن ذلك صحيحا على أى وجه من الوجوه».

تناولت كفه وقامت واقفة وهى تنظر إلى أسفل. احتضنها بذراعه الوحيدة وقبّلها وقبّلته، وابتسما كثيرا جدا وهما واقفان بين الجدران العارية، تحت الساعة الخشبية ذات البندول النحاسى الثابت. ومشط لها شعرها بأصابعه الطويلة النحيلة وتحسس ظهرها لفترة من الوقت. وعندما أوصلها إلى الباب كانت ذراعه ما زالت على كتفها. وبعد أن أغلقه وراءها عاد بطيئا إلى القاعة الكبيرة الخالية، وجلس فى الركن البعيد، وأخرج من جيبه مرآة نسائية صغيرة، بدأ يتطلع فيها، وإلى أنفه بعناية.

رياح الشمال

فى تلك الأيام، كنت قد ارتديت سترتى الوحيدة، ووقفت وراء نافذة حجرتى الأرضية التى استأجرتها قبل أن يصيبنى المرض، هناك، عند الطرف البعيد من المدينة، ورحت أرى الميدان الصغير الذى خلفته الأمطار عابقا بالرطوبة والصمت، وأسفلت الشوارع القليلة المتقاطعة الذى بدا مبتلا ومتألقا فى ذلك الضوء الغارب. وكان البخار يتصاعد فوق سطح النهر، وقليل من العربات الخشبية وأقفاص الخضر والبرتقال مغطاة بقطع الخيش ومهجورة على الطوار، عند السور الحجرى القصير الذى يعلو الجسر المنحدر.

لقد كنت أفعل ذلك، وبينما كنت أفعله، رأيته

وهو يلوح هناك فى الجانب الآخر من الميدان، وسمعته وهو يصيح صياحا مبهما ويطوح بذراعه الأخرى. تحسست العصا التى أتكئ عليها، وفكرت أن فى مقدورى الآن أن أتراجع وأغلق النافذة، وأراه من فتحات الشيش المطلى، إلا أنه بدأ يواصل خطواته، ولم يلبث أن صعد الطوار الموحل الضيق، ووقف أمامى وهو يمسك فى يده اليمنى زجاجة مائلة، ورفع جفنيه عن عينيه الكبيرتين الصافيتين، وأتانى صوته العميق الواضح: «يا سلام. تريد أن تنام، فتنام. ولا تريد أن تنام، فلا تنام»، واتكأ بمرفقه على قاعدة النافذة، وهز رأسه الضخم الذى يغطيه الشعر الكثيف الأبيض، وابتسم:

«لم تعد هناك فائدة. سلام عليكم».

وتركنى وانصرف.

ملت وراءه. كان يبتعد بقامته المديدة الممتلئة وهو

يتكئ بيسراه على الجدار المبتل . وعندما اختفى منى فى ضباب الدرب الصغير ، أرحت نفسى . لقد هبط الظلام الآن . ولم يكن هناك سوى نقطة ضوء تنبعث من لمبة صغيرة معلقة فى طرف أحد الأعمدة الخشبية العالية . وكان الجفاف قد عاود شفتى ، وبدأت الحرارة تحرق عينى وتثقلهما ، ورحت أغفو فى انتظار الرعشة الدقيقة التى دأبت على المجىء من داخلى . وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أشعر بالوهن ، وبأن دقات بعيدة قد ارتفعت على مدخل حجرتى الأرضية التى استأجرتها قبل أن يصيبنى المرض ، وبأننى آخذ عصاى تحت إبطى وأتقدم إلى الخارج ، وبأن الرجل طويل القامة يقف أمامى والهواء البارد له رائحة مغايرة ، ولكننى ظللت فى مكانى ، ومرت فترة من الوقت قبل أن أسمعه وهو يزفر ، ويصعد إلى الفراش العالى ويقول : «لماذا لا تجلس؟»

اتجهت إلى السور الحجرى القصير وجلست ، ثم

أرحت العصا إلى جوار ساقى الأخرى. كان يجلس وقد دلى ساقيه، وأراح يديه على ركبتيه: «معك سجاير؟».

أخرجت علبة سجائرى وفتحتها، رفع رأسه الكبير المغطى، وقال: «لا. إنها سيجارة واحدة. يجب أن تحتفظ بها»، وأخرج علبة سجائره، وأشعل واحدة، وأعاد العلبة إلى جيبه: «لا تعط سيجارتك الأخيرة إلى أحد، أبدا، حتى لو كنت أنا». وعندما نظرت إلى حذائه المغطى بالأوحال، خلع الحذاء، وأراح جسده كله على الفراش: «هل تريد الآن أن تعرف كيف تعلمت الألمانية؟»

«هل تعلمتها؟»

«طبعا»، وثنى ذراعه تحت رأسه، وتطلع إلى أعلى، وقال بصوته العميق الواضح وهو يميل ناحيتى بعينه القريبة ويرانى: «تريد أن تعرف

كيف؟»، هززت رأسي موافقا، قال: «تعلمتها من زملائي في الكيت كات».

وجذب نفَسا من السيجارة، وصمت.

«كنت تعمل في الكيت كات؟»

«طبعا»، وربت بيده على صدره: «ألا ترى هذه البدلة؟ إنها من إنجلترا». ومضت فترة: «وعندى قبعة أيضا».

«قبعة؟».

«بيضاء، من فرنسا»، وجذب نفَسا أخيرا من السيجارة، ومال بجسده، وألقى بها فى المكان البعيد، ثم اعتدل: «إننى أحتفظ فيها الآن بالأوراق والرسائل الهامة»، وثقل صوته: «ولكنى كنت أرتديها، عندما كنت أعمل فى السفارة الألمانية»، وشبك ذراعيه على صدره، وأغمض عينيه: «فى يوم، عندما كنت أعمل فى الكيت كات، وجدته قد جاء، ولم يكن وحده. هل تعرف من الذى كان معه؟».

«من؟»

«إيفا».

«إيفا؟»

«نعم، حبيبته».

فردت يدى على السطح المبتل الناعم. وضم هو ذراعيه على صدره أكثر: «كانت حلوة، وأنا كنت شابا وصغيرا، وكان هو قد حلق شاربه حتى لا يعرفه أحد، وراح يتجول فى مصر ويقوم بعمله، وطلب منى أن أفرجها على البلد. وفى هذه الأوقات كنا قد حكينا لبعضنا عن كل شىء، وذهبنا إلى النيل، وركبنا قاربا، وسبحنا عرايا، وكان شعرها ذهبيا فى الليل، وجسدها مثل الفضة الصافية»، ورفع نصفه الأعلى قليلا وراح يقرأ من الورقة البالية: «إنى أستنشق الهواء العذب الخارج من فمك.. وأتأمل كل يوم فى جمالك. وأمنيتى هى أن أسمع صوتك الحبيب.. الذى يشبه حفيف

ريح الشمال . . إن الحب سيعيد الشباب إلى أطرافى . . أعطنى يدك التى تمسك بروحك . . وسوف أحتضنها وأعيش بها . . نادنى باسمى ، وإلى الأبد . . لن يصدر نداؤك أبدا دون إجابة عنه» .

وطوى الورقة ، وشرع يبكى كثيرا . وقبل أن يذهب ، كان يدعك عينيه بقبضته ، مثلما يفعل الأطفال . وفى ذلك الحين كان علىَّ أن أقول ، ولكن الجفاف كان قد عاود شفتى ، وبدأت الحرارة تحرق عينى وتثقلهما ، وكانت الرعشة الدقيقة التى دأبت على المجىء من داخلى قد جاءت الآن ، وأخذت الأشياء تتأرجح عبر ستارة رقيقة من الدموع ، وانعكست نقطة ضوء بعيدة داخل مقلتى . وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أشعر بأننى وحيد ، وبأنه يجب علىَّ الآن أن أتناول عصاى وأتكئ عليها وأعود . وقد فردت أصابعى على السور الحجرى القصير ، إلا أننى انحدرت ، وقبل أن أغيب ،

شعرت بجسدي الملقى وهو ينبض بقوة، وبأن مياه الأمطار كـــانت مـــا تزال تقطر عليَّ من أوراق الأشجار المائلة على حافة الشاطئ.

نوفمبر ـــ ١٩٧١م

المــأوى

فى آخر الليل، تركنا الطريق العام، ورحنا نتقدم بين الحفر العميقة التى خلفتها الانفجارات، ووقفنا هناك فى الخلاء أمام المبنى الصخرى ذى المدخل الخشبى الداكن، والواجهة القصيرة الصفراء التى بدت وقد تشربت قدرا قليلا من الضوء، قريبة وواضحة.

كان ذلك هو ما انتهت إليه الأمور التى جرت فى الفترة الأخيرة إذن، إلا أنه كان قد تم دون أى جهد من ناحيتى، لذلك لم أكن قادرا على رؤية هؤلاء الذين كانوا موجودين على يسارى، أما الطبيب الشاب الذى كنت أشعر به، فقد كان يقف فى الناحية الأخرى. ولم يمر وقت طويل حتى رأيت

أصبعه القصيرة البيضاء وهى تدق على المدخل الخشبى الداكن. وبينما أنا أستغرب منه ذلك الأمر البادى فتح الباب. وكانت الفتاة التى تقوم بالخدمة الداخلية واقفة أمامنا وقد ارتدت جلبابا مغطى بالزهور الصغيرة الباهتة، وتعصب رأسها بمنديل وردى قديم، وكانت تمسك حافة الباب وهى تقول. ولكن الطبيب أسر لها فى كلمات قليلة خافتة. وبينما أنا أعدل من وضع ضمادتى المبتلة مال عليها. وقال أيضا بأن أحدا آخر قد لا يدرك حقيقة الأمر. عندئذ تنحَّت عن مكانها قليلا. ورحنا ندخل دون أن يصدر عن أقدامنا أى صوت.

إلا أننا، أنا وهى، لم نلبث أن مضينا من الظلام ودخلنا القاعة الكبيرة ذات الجدران العالية الخضراء. وكان الضوء البرتقالى الخافت الذى يأتى من القناديل الثقيلة المعلقة، ينداح خفيفا على هذه الجدران الخضراء، ويتأرجح قليلا على الحرير الأسود اللامع الذى يغطى المقاعد الضيقة ذات

المساند الخشبية العالية، ثم يذوب متلاشيا هناك فى الأركان البعيدة، عند الستائر الكثيفة المسدلة. وبينما نحن نعبر على الأرضية الداكنة المغطاة ذاهبين إلى صدر القاعة، حيث الحجرة الصغيرة الملحقة، رأيت على جانبى المدخل المفتوح طاقتين طويلتين مظلمتين. وعندما أوشكنا، لمحت الأدوات الدقيقة والتماثيل الخشبية المصقولة بداخلهما. وفى هذه الحجرة الصغيرة الملحقة ذات الجدران العارية الملساء، بدت الزهور الصغيرة الباهتة فى جلباب الفتاة أكثر اختلافا وأقل عددا. وعندما كنت كذلك انتابنى ما كان ينتابنى فى كل المرات السابقة.

لقد أردت أن أعرف أين سنقضى بقية الليل، وبعد أن أعرف أعود وقد ارتضيت، وربما احتفظت لنفسى بما يشبه حق العودة فى مرة لاحقة. كان علىَّ إذن أن أقول. أما هى فقد استدارت. أعطتنى وجهها وأشارت إلى البلاط العارى، والتصقت

بى . وبينما نحن نستلقى كانت قد تعرت قليلا وهى
تجذبنى . لقد شعرت بذلك . ومددت يدى وأزحت
القماش الخفيف جانبا وبدأت أفعل دون أن أرى .
وعلى الرغم من أننى لم أكن فيها تماما ، فإننى رأيت
كيف أنها كانت مهيأة حقا كما كنت أردد لنفسى فى
بعض الأيام القليلة المتباعدة عبر السنوات الطويلة
التى أحجمت فيها ، والتى ضاعت ، وكيف أن
الوقت قد أصبح ملائما لكى يزداد يقينى ، وأن
الأمور التى مرت كلها كان يمكن لها ألا تمر على
نفس النحو . وكنا نتأرجح قليلا . وأمامى عبر
المدخل المفتوح كانت امرأة بيضاء راكعة فى ناحية
من القاعة الكبيرة الخضراء ، وكان رأسها غائبا فى
ظلمة الأرضية الداكنة المغطاة ، وثوبها الحريرى
المنحسر عن نصفها الخلفى العارى فى الضوء
البرتقالى الخافت . رأيتها . ورأيت المرأة ذات العباءة
القانية التى تجلس على المقعد الموجود فى المكان
الآخر ، وهى تتطلع فى المرآة البيضاوية ذات المقبض

الطويل الذى كانت تمسك به، وقد انحسر كُمُّ العباءة عن ذراعها النحيلة البيضاء. وعندما عدت رأيت منديلها الوردى القديم وقد انحدر بعيدا عن شعرها الحليق مثل شعر الأولاد وهى ما زالت تمسك بى وقد فتحت فمها ذا الرائحة الواضحة والأسنان البيضاء، وأردت أن أفصح قليلا، ثم رفعت وجهى، وكانت كل واحدة مستقرة فى مكانها. وعندئذ مرت امرأتان متساويتان داخل القاعة. مرتا من الناحية اليسرى إلى الناحية المقابلة وهما تهمسان. وكنا ما نزال نتأرجح حين لاح القزم فى سرواله الضيق وسترته الحريرية ذات الألوان، واقترب من المرأة الراكعة البيضاء. مرة أخرى أردت أن أفصح قليلا، ولكنه استدار وهى ما زالت تجذبنى إليها. ورأيت عينيه المضيئتين هناك فى الظلمة، وتوقفت هى الأخرى عن الحركة، وكان وجهها القريب شاحبا وفى عينيها الكبيرتين حَوَلٌ خفيف. وبدأ دبيب الأقدام يقترب والأصوات

الخشبية الهامسة تتضح داخل القاعة الكبيرة.
وحاولت أن أجذب نفسى من داخلها وأردت أن أداريها، إلا أنه جاء ومال علينا وراح يتسمع بأذنه المستديرة. وقد فكرت أن بمقدورى الآن أن أغمض عينى لأبدو وكأننى ما زلت نائما. وعندما فعلت، أطلق هو ضحكة نسائية ساخرة، راحت تتردد بطيئا داخل حجرتنا الصغيرة الملحقة، ذات الجدران العارية الملساء.

أبريل ــ ١٩٧١م

يوسف والرداء

ـ ١ ـ

كنت أقف فى الساحة الصغيرة المتربة ، بين دائرة من البيوت القديمة العالية .

كنت وحدى .

وكان الليل فى أوله .

ـ ٢ ـ

كنت أشعر أنها لم تكن المرة الأولى ، وأن المكان ليس غريبا ، إلا أننى لم أكن واثقا . لم أكن أعرف إن كان صديقى (ع . ج) قد سبقنى إلى أعلى ، أم

تركنى كعادته لكى أجىء وحدى. كنت أفكر، بينى وبين نفسى، أن الأمر لن يكلفنى كثيرا. علىَّ أن أعود قليلا إلى الوراء، حتى يرونى ويحكوا لى، أو يرسلوا معى البنت الصغيرة لكى ترشدنى.

نعم.

كنت أفكر.

- ٣ -

عندما انتهيت من المنحدر، أعطيته ظهرى، ووقفت على حافة الطريق الذى يقسم المدينة إلى قسمين.

كان ظلاما حالكا. وأمامى، كان الضوء البرتقالى الخافت يملأ المكان الصغير الذى انتزعت أبوابه. وكان هو يرقد على ظهره تحت الغطاء الداكن المنسدل. وعلى مقربة من وجهه المكشوف المائل، كانت البنت الصغيرة فى جلبابها القديم

الأخضر، تحمل شيئا زجاجيا، وتشير به إلى هناك حيث الجدار الداخلى المشرب بالحمرة، فى الصمت، كيف أقول؟ لقد أدار وجهه المتعب إلى ناحيتى. لاح غريب البياض فى ذلك الضوء البرتقالى الخافت. وعندما التقت عيوننا، لم يعد أمامى إلا أن أدير وجهى، وأرتقى المنحدر، وأعود إلى الساحة الصغيرة المتربة.

رأيت ذلك.. ورأيت كيف أنه أصبح فى أيامه الأخيرة تلك، شبيها بشقيقه الآخر، المختفى.

- ٤ -

«إنهم يعتمدون كثيرا على أننا ننسى».

هكذا أخبرنى صديقى (ع. ج) وهو يضحك، صباح أحد الأيام، بالمقهى.

ـ ٥ ـ

كنت مرهقا

وكانت الساحة ما تزال خالية ، ومظلمة .

دخلت . رحت أبحث عن الحاجز الخشبى الناعم . ولما أمسكت به رحت أصعد الدرج الحجرى العالى حتى نالنى الوهن ولم أعد قادرا . وعندما وصلت إلى أول الدهليز الطويل الذى ينتهى بالفتحة المدورة المفضية إلى السطح ، خلعت سترتى وملت إلى الجدار القريب . وقفت فى مكانى وأنا أتنفس فى صعوبة ، وأستشعر رطوبة الهواء الآتى . وكانت السماء تنسدل أمامى عبر هذه الفتحة المدورة ، وفى هذا الفراغ كان الهيكل الحديدى القاتم كاملا على قوائمه القصيرة المتباعدة ، وجسده الغريب الممتلئ ، وفمه الممتد الفاغر .

ناديت .

لم يرد علىّ .

لم يفتح الباب من أجلى.

يوسف.

مددت يدى محاذرا وأنا أرى الأذنين القصيرتين كحربتين. وعندما ترنحت شعرت به وهو يتجه إلىّ، وفهمت ما دبر لى، ورحت أنحدر بظهرى إلى الأعماق البعيدة المظلمة، وفقدت سترتى وأنا أتشبث بالحاجز الخشبى الناعم.

ناديت،

إلا أنه،

هذه المرة أيضا،

لم يرد علىّ.

-٦-

فى «التروللى باس»، رأيته وهو يجلس على المقعد، بجوار اللوح الزجاجى المغلق. كان يتناول

حبات الفول بأصابعه الطويلة النحيلة، ويكسرها بأسنانه النقية البيضاء، فتعلق القشور الذهبية بذقنه النابتة، وثيابه الزرقاء، وكانت العذراء تتكئ على كتفه الضامر، تواريه فى الخفاء. وبينما هو يحرك شفتيه الورديتين، راح مرفقه ينزلق رويدا. وعندما رأى، دون أن ينظرنى، أننى رأيت، لاحت الابتسامة على وجهه الشاحب، وغمز لى بعينه الوسيعة مرتين. أما أنا، فما ابتسمت، لكننى استدرت، ورحلت من هناك.

-٧-

فى الضوء الخافت، فتحت عينى.

كان صديقى (ع. ج) يجلس إلى جوارى على المقعد الطويل داخل الصندوق الخلفى المغلق. وإلى يسارى كانت صبية صغيرة ذات جلباب قديم أخضر، وشاب نحيل له وجه غريب البياض. وفى

المقعد المواجه، كان رجلان يجلسان فى ثياب العمل. وعندما أوشكت العربة أن تغادر الساحة الصغيرة المتربة، نظر (ع. ج) إلى قميصى الملوث، ثم التفت.

-٨-

فى الشمس، التقيت به. كان يحمل حقيبة جلدية خفيفة، وحزاما من الجلد الأسود المجدول. قال:

«سوف أريك شيئا».

وقفنا أمام النافذة الكبيرة، واقتربنا من القضبان السوداء. كان يجلس وحيدا فى ركن القاعة الحجرية العارية. مع الصيحة الأولى هب واقفا بقامته النحيلة وقميصه المتسخ. راح يجرى بقدميه الحافيتين من أول القاعة حتى آخرها وهو يعمل بذراعيه كمن يتقى شيئا، محاذرا فى كل مرة أن

يصطدم بالجدران. لقد عرفته،

رغم اللحية،

والفم الوارم،

والحاجب المجروح.

قال: «ما رأيك؟»

وفى طريق العودة، رأيت (ع. ج) معلقا.

ـ ٩ ـ

كنت قد خلعت ثيابى ووقفت مائلا فى الماء الذى كان باردا، داخل حجرتى الصغيرة ذات الجدران القريبة العارية. كنت أرتجف بالحمى فى ذلك البرد القارس. لم يكن فى مقدورى أن أظل ثابتا، ولم يكن لى أن أتكئ إلى الجدران، أو أجلس. وازداد ميلى إلى الأمام، وعرفت كيف يمكن للمرء أن يشعر عندما يستريح قليلا على يديه وقدميه،

وجاءنى الإغماء ، وتهيأ لى وقع الضربات المكتومة على الأجساد البعيدة العارية . وقبل أن أروح ، لمحت عينين كبيرتين، على صفحة الماء القريب القاتم .

- ١٠ -

«سترتك ، أخذتها بنفسى إلى البيت ، أخبرتهم ، أنك بحالة جيدة» .

فبراير ـ ١٩٧٣م


Twitter: @alqareah

القيام

ـ ١ ـ

بعد الفراق الطويل، رأيته مرة أخرى، وصافحنى .

ـ ٢ ـ

لم يعانقنى كما اعتاد فى مثل هذه الأحوال أن يفعل، إلا أنه كان هاشا للقائى . وجلسنا سويا بين الناس، ورحنا نشرب الشاى، ونتكلم .

- ٣ -

أخرجت علبة سجائرى، ولكنه هز رأسه معتذرا وأخبرنى كيف أنه قد كف نهائيا عن كل أنواع التدخين، ثم سألنى إن كنت تزوجت حقا كما أبلغه أحدهم منذ أيام، أجبته بالإيجاب، وأخبرته كيف أننى أوشك أن أكون أبا، ثم عاد يسألنى إن كنت قد أقمت فرحا، وظهر عليه الأسى عندما أجبته بالنفى، وسألته بدورى لماذا لا نراه، وعن رأيه فى هذه الأحوال الأخيرة.

- ٤ -

قال إننى لن أصدق، إذ أخبرنى أنه فى وقت ما كان مصرا على إقامة فرح، وفرح كبير. وعندما سألته إن كان ذلك صحيحا، عاد ليهز رأسه مؤكدا. أعددت كل شىء. كنت أعرف عدد المدعوين.. كنت أعرف عدد المقاعد، واللمبات الملونة التى

سوف تعلق، كنت أعرف عدد الطلقات النارية، والراقصين، وعدد أكواب الشربات، والمكان الذى سوف تجلس فيه السيدتان العانستان. أعددت كل شيء، ولكنها لم ترض.

«من؟»

«الفتاة».

«كيف؟».

«أرادت أن تعيش معى دون زواج. ولكننى كنت أريد زواجا حقيقيا. وافترقنا».

«لابد وأن ذلك كان مؤلما؟»

«جدا».

ـ ٥ ـ

عندما قام واقفا، رجوته أن يعاود الجلوس، ما دام قد عاد، لأننا لم نعد نراه، لم نعد نرى حتى

صديقنا المشترك . وحين قدمت له قدحا آخر من البيرة ، رأيت شمس النهار واضحة ، وراء المدخل الزجاجى الكبير .

-٦-

فى البداية ، كان الألم يأتى ويروح ، كان يتعاقب كأنه الليل والنهار . ولكن ذلك لم يستمر طويلا . إنها الدنيا كما تعرف . المرة الأخيرة التى أصابنى فيها كنت وسط الدلتا تماما . كنت فى حالة سيئة للغاية ، ولكنى التقيت بصديق قديم كان عائدا لتوه من إسبانيا ، وقد نصحنى هذا الصديق القديم بأن أرحل . ولما كان يعرف مدى ترددى فى مثل هذه الأحوال ، بادر بمعاونتى على جمع ثيابى وحملها عنى . وبعد أن ركبت قطار الليل السريع ، أعطانى قدرا طيبا من المال ، ولوح لى بيده اليمنى مودعا . وهكذا غادرت الدلتا قاصدا إلى هناك .

لا يمكنك أن تقدّر كيف شعرت بقدر كبير من الراحة، بل يمكنك أن تشير إلىَّ وتقول: هذا رجل ردت إليه العافية. نعم، كانت أياما رائعة وهادئة، وكـــان هناك عـــدد من النزلاء الذين يتناثرون فى أرجاء السطح القريبة والبعيدة وقد عرّوا أجسادهم لشمس النهار الكبيرة الساطعة وهواء الليل النقى الخفيف. كانوا جميعا من الشباب، كما تعرف، كلٌّ يحكى عن وطنه، إلا شيخا صغيرا كان معجبا بلحيته البيضاء. كان يرقب نموها من يوم إلى يوم. وهكذا اخترت ركنى وأقمت وحيدا حتى التقيت بولد كنت قد تعرفت به فى إحدى القرى الساحلية، وقد أخبرنى أن الشيخ صاحب اللحية البيضاء كان فيما مضى قاضيا معروفا. وفى ذلك الوقت كانت الفتاة الجميلة التى معه تحكى بصوتها كيف أن صديقها الشاب مغرم بلون معين من الفتيات وأنها شخصيا تشبه صديقته الأخيرة التى تعيش الآن بعيدا

بمدينة الإسكندرية ، إلا أننا لم ننعم طويلا بذلك الهدوء الرائع ، فقد جاءت فتاة صاخبة راحت تصيح هنا ، وتصيح هناك . لقد أقلقهم ذلك كثيرا . وعندما تبرم بعضهم ، جذبت الشيخ من لحيته البيضاء وهى تضحك وتقول إنها ، فى حقيقة الأمر ، لا يمكنها أن تهتم .

-٨-

عندما أكون وحدى ، أنت تعرف ، فإننى أكتب بعض الأشياء ، أسجلها ، وهى أشياء لا قيمة لها ، مثل الحديث مع النفس . ولكنها رأتنى وأنا أفعل ، وسألتنى إن كنت أدون المذكرات . وعندما هززت رأسى موافقا (أريد الخلاص من زحمتها) قالت : من أين أنت؟ قلت : إننى مصرى . ذهبت إلى أوراقها وعادت وهى تحمل دفترين ، قالت : اقرأ وأعطنى رأيك . فى هذا الدفتر سوف تجد مصر كما

كنت أحلم بها، قبل أن أراها، وفى هذا الدفتر سوف تجد مصر بعد أن رأيتها. صاحت ضاحكة (وهى تقول) إنها فعلت ذلك مع كل البلدان التى زارتها، تدون الأحلام، ثم تذهب بنفسها لتباشرها.

- ٩ -

قال إن ما قرأه كان يبعث على الدهشة، وأنه كان يملك قدرا ضئيلا من المال، ومع ذلك فقد سألها إن كان يمكنه أن يقدم لها قدحا من الشاى. طلب منها أن يغادرا المكان ويتناولاه فى أحد المقاهى الخارجية، ولكنها سألته إن كان بوسعها أن تأتى بزوجتها لترافقهما، وعندما أعرب عن موافقته صحبته إليها حيث حجرتهما المنفردة.

قال إنه رآها تجلس وسط الفراش عارية إلا من شعرها الطويل الناعم الذى يغطى كتفيها.

تقدمت إليها وقبّلتها فى فمها وطلبت منها أن ترتدى شيئا لأنهما مدعوتان لتناول الشاى بالخارج. وقال إنها ارتدت شيئا مناسبا من التيل ووضعت الأصباغ الحمراء على شفتيها وخديها، ورسمت الظلال الخضراء حول عينيها الكبيرتين، وحملت حقيبتها الجلدية البيضاء. قال إنهم ركبوا الترولليباس حتى مبنى قصر العينى القديم. راحوا يتمشون فى الجزيرة الصغيرة، وبعد أن وصلوا إلى المقهى الخالى، جلسوا يشربون الشاى، ويتكلمون.

- ١٠ -

قال إنها حدثته عن وطنها كثيرا. أخبرته كيف أنها بدأت حياتها تبيع الحلىّ فى شارع الصاغة، ثم انتقلت إلى مسامرة الرواد فى الحانات. ظلت تفعل

ذلك ثم قلبت فى الأمر، وأخيرا قررت أن تتزوج، وتسافر.

قال إنه عندما أتى دوره، لم يستطع، أبدا.

ـ ١١ ـ

لقد كان ذلك شيئا رديئا للغاية. ويجب عليك أن تصدقنى عندما أعيد عليك هذه الأقوال، أنا الذى رجوتك فى يوم من الأيام أن تشير إلىَّ وتقول هذا رجل ردت إليه العافية. وقد أزعجهما ذلك كثيرا، وراحت الزوجة فى غيبوبة خفيفة شحب منها وجهها الملون. لم تستعد نفسها إلا بعد أن أخذتُ يدها الراجفة بين يدى وربتُّ عليها جيدا. وعندما عدنا دخلتْ إلى حجرتها وأوصدتْ الباب على نفسها. أما هى فقد صعدت إلى أعلى وأخبرت الجميع، فأصروا على أن أغادرهم، حتى الشيخ صاحب اللحية البيضاء أصر بدوره على

ذلك . وكانت ثيابى مغسولة ومنشورة على الحبال المعلقة ، وقد جمعتُها مبتلة وخرجتُ وحدى فى الليل . ذهبت أمشى فى الجزيرة باحثا عنه ، لأقضى معه ليلتى الأخيرة .

ـ ١٢ ـ

وعندما رأيته قادما إلى المقهى ، عبر المناضد المتباعدة والجالسين ، عرفته من شعره الأحمر ، وعينيه المدققتين فى وجهى ، وابتسامته الطيبة وهو يلوح لى مودعا ، ويبتعد .

* * *

ورحت أشرب الشاى ، وأنظر عبر المدخل الزجاجى الكبير إلى الرجال والنساء الذين يمضون فى الضوء الغارب ، لفترة قصيرة ، ثم يختفون .

الغرق

-١-

أثناء النهار،

نزلت الدرج الحجرى،

فى طريقى إلى العوامة.

-٢-

كنا فى الصيف،

وقرص الشمس يضوى فى قلب السماء.

عندما جلست على المقعد الخشبى فى مقدمة الشرفة المسقوفة، قريبا من الماء.

ـ ٣ ـ

هنا ،

كان المدخل ورائى ،

والممشى الممتد فوق سطح الماء ،

وعريشة العنب التى احترقت أوراقها ،

وفراش (الغريب) :

الوسـادة ، والمعطف المطوى ، وأوانى الشـاى ، والحبال المبتلة المجدولة .

ـ ٤ ـ

قال ،

إنهم هكذا ،

يرددون نفس الكلام الذى رددناه ، يعيشون نفس الأفكار التى عشناها ، التى جمعت الكثيرين منا ،

والتى فرقت الكثيرين منا .

الأفكار التى يمكنك أن تقول إنها خانتنا ، والتى يمكنك أن تقول إننا خناها .

إنهم يعيشون نفس الأحلام القديمة التى عشنا نحن من أجلها ، والتى خابت ، ثم إنه ضحك ، لم تخب تماما ، ولكنها شاخت ، ونحن أيضا قد شخنا .

وأنت ، أنت لا تريدهم أن يسلكوا نفس الطريق ، نفس الخطأ ، وفى كل مرة تريد أن تقول ، تحاول ، مع أن الوقت سوف يمضى ، وستعرف أنت الآخر أن عليك ألا تقول شيئا ، ذلك أنهم صاروا يروننا أفضل حالا ، وأكثر ميلا إلى التخاذل والتسليم .

قال ،

إنهم هكذا ،

دائما .

ـ ٥ ـ

كانوا قد انصرفوا قبل قليل ، ونحن وحدنا فى هدأة ذلك الوقت المتأخر من الليل ، وحبات قليلة من النور قد تناثرت فى قلب الماء المعتم . قال إن المأوى ليس رديئا . مع الأيام الأولى سوف تشعر بغياب الجدران والأرض الثابتة التى عشت عليها . سوف ترى كيف بات العالم يتأرجح بك مع كل خطوة تخطوها . وفى الليل ، عندما تنام ، يخيل إليك أنك تريح وجهك على خد الماء ، وتشعر برائحة الخشب المبلول ، والبحر ، وقاذورات الشاطئ المتخمرة ، وتسمع صوت الهواء فى الأعشاب والأشجار ، ودبيب الزواحف الصغيرة ، والضفادع ، والعصافير التى تأتى إليك لتبيت فى فجوات سقفك العالى ، المعمول من الخشب .



«زين. يا زين». هكذا جاء النداء النسائى الدافئ عبر أشجار الشاطئ الكثيفة وأوراق الخروع الكبيرة والليل. قال: فى المرة الأولى خلته حلما، الصوت، وعندما تكرر لم أنم. قال (الغريب) إنها امرأة. جاءت صبية وأخوها ليفعلا شيئا. هنا نزل (زين) إلى الماء، إلا أنه لم يعد، وهى تأتى كل يوم بصرتها الصغيرة التى لم تتغير. تنادى وهى واقفة، مرة، ومرة، ثم تجلس حتى يوشك ضوء النهار أن يفضح الشاطئ، فتنصرف. عشرون عاما وهى تفعل ذلك. قال: فى الأيام الأولى لم يكن لى من هم إلا انتظار النداء، مع الوقت لم أعد حتى أسمعه. لولا وجودك الآن ما فكرت فيه. قال: ليس عليك أن تبذل جهدا لتعتاد مثل هذا المأوى الجديد، بل إن كل ما عليك هو أن تستسلم رويدا إلى ما يشبه الغيبوبة، حتى تعتاد عليه، وعلى كل شىء آخر.

-٦-

بطيئا،

كان قارب الصيد المطلى بالقار،

يعوم على سطح الماء الذى أضاءته الشمس.

فى المقدمة كان رجل ضئيل الحجم يرتق شبكته ذات الخيوط البيضاء، التى قبض عليها بأصابع قدمه العارية السوداء.

-٧-

كان الدرج الحجرى مسيجا بأعداد كبيرة من أشجار الخروع المغروسة. وكان (الغريب) نائما تحت عريشة العنب التى كانت تظلل جسده المطوى، وقدرا ضئيلا من ماء النهر. وعندما رحت أتقدم، شعرت بالمشى الخشبى الممتد وهو يتأرجح بى. أمسكت بحافة المدخل المفتوح وأنا أمد قدمى

الأخرى، كانت الشرفة خالية، أدرت وجهى حيث الستارة الكبيرة التى تدارى الفراش. استدرت عائدا. وعندما كنت أفعل، سمعت صوته وهو يدعونى للبقاء، ورأيت يدا صغيرة بيضاء تمتد بين طرفى الستارة، لتضمهما جيدا.

-٨-

وهناك،

كانت موجات النهر الهادئة،

توارى مقدمة الشاطئ الآخر، الممهد.

كانت تروح، ثم تنحسر رويدا عن شريط الطمى الأسمر المبلول.

أما بقية المساحة العريضة الممتدة، فقد كانت مختلفة، حوّلتها شمس الصيف الحارة إلى شىء شبيه بالرمال، وأنا ما زلت أجلس على المقعد

الخشبى، فى مقدمة الشرفة المسقوفة، قريبا من الماء.

*

وكان قرص الشمس قد انحدر قليلا، فى الجانب الآخر من السماء.

سبتمبر ـ ١٩٧٥م

الفهرس


Twitter: @alqareah

رقم الإيداع ٢٠٢٢٠ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 09 - 1166 - 6

مطابع الشروق
القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت: ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف: ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس: ٨١٧٧٦٥(٠١)

«زين. يا زين».

هكذا جاء النداء النسائى الدافئ عبر أشجار الشاطئ الكثيفة وأوراق الخروع الكبيرة والليل. قال، فى المرة الأولى خلته حلماً، الصوت، وعندما تكرر لم أنم. قال الغريب إنها امرأة جاءت صبية وأخوها ليفعلا شيئاً.

هنا نزل زين إلى الماء، إلا أنه لم يعد. وهى تأتى كل يوم بصرتها التى لم تتغير، تنادى وهى واقفة، مرة، ثم تجلس حتى يوشك ضوء النهار أن يفضح الشاطئ، وتنصرف. عشرون عاماً وهى تفعل ذلك. قال، فى الأيام الأولى لم يكن لى من هم إلا انتظار النداء، مع الوقت لم أعد حتى أسمعه. لولا وجودك الآن ما فكرت فيه. ليس عليك أن تبذل جهداً لتعتاد مثل هذا المأوى الجديد. بل أن كل ما عليك هو أن تستسلم رويداً إلى ما يشبه الغيبوبة، حتى تعتاد عليه، وعلى كل شىء آخر.

دار الشروق

